



خطبة صلاة الجمعة 4/11/2022 للشيخ الطبيب محمد خير الشَّعَال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(مفهوم الدعوة إلى الله)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا﴾ [الفجر: 15-17] قال المفسرون: (ردَّ الله على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة، فأخبر أن الإكرام بطاعته والإهانة بمعصيته). فصححت الآية مفهوماً خطأ. أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا تَعُدُّونَ الصُّرْعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

وفي رواية قال: «فما تعدُّون المفلس فيكم؟» قلنا: من لا مال له، قال: «ليس بذلك، ولكنه الذي يأتي يوم القيامة بحسنات، ويأتي قد ظلم هذا، وشم هذا، وأخذ مال هذا، وليس هناك دينار ولا درهم، فيعطون من حسناته ولا يفي، فيؤخذ من سيئاتهم فيطرح عليه».

ففي الحديث توضيح وتصحيح نبوي لمفهومي الصرعة والمفلس.

وفي القرآن والسنة من أمثال هذا في تصحيح المفاهيم كثير.

أيها الإخوة:

التصورات توجه التصرفات، والمفاهيم تؤثر في الحركات والسكنات.

فتصورات الإنسان ومفاهيمه تنعكس في حياته سلوكاً وسكوناً، وأعمالاً وأقوالاً، وعطاءً ومنعاً.

فمن تصور المعنى الحقيقي للذهب حافظ عليه وضمن به، بينما من تصور أن الذهب معدنٌ خسيس فرط فيه وضعيه؛ فالتصورات توجه التصرفات، والمفاهيم تؤثر في الحركات والسكنات.

هذه الخطبة السابعة من سلسلة خطب عنواها: (مفاهيم تحتاج إلى تصحيح) جاءت لتصحيح مفاهيمنا لبعض المصطلحات الشرعية والحياتية، والمأمول ممن صح تصوره أن يصح تصرفه. والله الموفق.

هذه الخطبة التاسعة من سلسلة خطب عنواها: مفاهيم تحتاج إلى تصحيح.

جاءت لتصحيح مفاهيمنا لبعض المصطلحات الشرعية والحياتية، والمأمول ممن صح تصوره أن يصح تصرفه. والله الموفق.

عنوان خطبة اليوم:

مفهوم الدعوة إلى الله

يحافظ أحمد على شعائره الدينية وعباداته التعاملية، ولكنه لا يجد نفسه أهلاً للدعوة إلى الله تعالى، فهو لا يحفظ القرآن ولم يجزه شيخٌ بالحديث، ومن أجل هذا تجده ممتنعاً عن نصح صاحبه في الجامعة مع أن صاحبه ينتظر منه كلمة، ورافضاً أن يدل أرحامه على خير مع أنهم يتوقعون منه ذلك.

ترى، هل فهمُ أحمد للدعوة إلى الله تعالى فهمٌ صحيح؟!

بينما كان أربعة رجال متحلّقين حول واحد من علماء البلدة جاءه سائل ليسأله عن حكم شرعي فتفاجأ العالم بمبادرة الأربعة على التوالي ليُبدلوا بدلهم في الإجابة على مسألة السائل، بينما وقف العالم صامتاً متعجباً!

ولما سألهم عن مبادرتهم بالإجابة مع أنهم ليسوا من أهل الاختصاص أجابوا أن الدعوة إلى الله تعالى واجب الجميع، الأمر الذي حملهم على إجابة السائل.

ترى، هل فهمُ هؤلاء الإخوة الكرام الدعوة إلى الله تعالى فهمٌ صحيح؟!

كان موفق يدعو أصحابه لأداء صلاة قيام الليل، يحببهم بها ويرغبهم بثوابها، الأمر الذي دعا عدداً منهم إلى التزامها شاكرين له فضله ودلالته، ولكن لفتهم منذ أشهر انقطاعه عن تلك الدعوة وتوقفه عن تذكيرهم بذلك.

ولما سأله قال متأسفاً: بأنه كان يقوم الليل ويدعوهم لقيامه، ولكنه مقصر في قيام الليل منذ حين، ولهذا توقف عن الحديث عنه لكيلا يدخل في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) كِبَر مَقْتاً

عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2-3].

ترى، هل فَهْمٌ موفقٌ الآية بشكل صحيح، وهل صحيح ألا يدعو المرء حتى يعمل؟! هو ناشط على مواقع التواصل ووسائله، ومن أجل هذا ينشر كلما يصل إلى يده أو سمعه من تفسير آيات أو شرح أحاديث أو مادة شرعية، يريد بذلك أن يساهم في الدعوة إلى الله تعالى.

ترى، هل فَهْمٌ هذا الأخ الفاضل الدعوة إلى الله تعالى فَهْمٌ صحيح؟! ينتمي عمرو لأسرة صالحة، وإن كانت لا تخلو من تقصير يحدث في عامة البيوت، من فترة قريبة أكرم الله عمرواً بالالتزام بمجالس العلم والذكر، فانعكس ذلك عليه تمسكاً بأوامر الدين ونواهيه، وبدأ بدعوة أهله إلى ما يراه من الخير، ولما لم يستجيبوا له الاستجابة التي يريد اشتدّ عليهم وقسا.

ترى، هل فَهْمٌ عمروٍ للدعوة إلى الله تعالى فَهْمٌ صحيح؟!

أيها الإخوة:

الدعوة إلى الله، الدِّلالة على الخير، النصح لعباد الله تعالى، الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدِّين، وهو المهمة التي ابتعث الله لها النَّبِيِّينَ أَجْمَعِينَ، لو طُويَّ بساطه وأُهل عمله لتعطلت النَّبُوَّة، واضمحلت الدِّيانة، وعمَّت الفتنة، وفشت الضَّلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم النَّناد.

الدعوة إلى الله، الدِّلالة على الخير، النصح لعباد الله تعالى، الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر خصيصة هذه الأمة، به يُعرَفون وبه يرتفعون وبه يسعدون ويُسعدون، ومن أجله ابتعثهم الله لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ولنقلهم من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن عذاب الآخرة إلى نعيمها.

الدعوة إلى الله، الدِّلالة على الخير، النصح لعباد الله تعالى، الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر واجب

كل مسلم، فالدين النصيحة، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71].

ذهب كثير من العلماء، إلى أن الدعوة إلى الله تعالى بمعناها العام فرض عين على كل مسلم، ومعناها الخاص فرض كفاية.

أما دليلهم على أن الدعوة إلى الله تعالى بمعناها العام فرض على كل مسلم فأيات وأحاديث كثيرة، منها:

قول الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: 125] ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ [الحج: 67] "ادع" في الآيتين فعل أمر، والأمر يقتضي الوجوب.

وصحيح أن الآيتين جاءتا خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن الأصوليين قالوا: كل أمر في القرآن خوطب به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو خطاب لأُمته من بعده ما لم يخصه الدليل. ومن الأدلة على فرضية الدعوة إلى الله على كل مسلم حديث البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدَ مِنْكُمُ الْغَائِبَ» «فليبلغ» اللام لام الأمر، والأمر يقتضي الوجوب عند الأصوليين.

وحديث البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» «بَلِّغُوا» فعل أمر، والأمر يقتضي الوجوب عند الأصوليين.

فالدعوة إلى الله تعالى بمعناها العام فرض على كل مسلم، وكل مسلم داعية. أما الدعوة بمعناها الخاص بمعنى أن يتخصص قوم منا بعلوم الدعوة إلى الله وفنونها فيتخصص قوم بالفقه وقوم بالتفسير وقوم بالحديث وقوم بالعقيدة وقوم بالمناظرة... وهكذا سائر التخصصات فهو فرض كفاية إذا فعله البعض سقط الإثم عن الآخرين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122].

ولعل مسلماً يريد أن يدعو إلى ربه ولكن يمنعه من الدعوة إلى الله تعالى تقصيره في طاعته ونسيانه لواجباته، فيحمله عدم الفعل إلى عدم القول مستشهداً بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ [الصف: 2-3].

ولكن المفسرين قالوا إن هذه الآية ليست دعوة لعدم القول ولكنها دعوة لترك عدم الفعل، فمن كان منا مقصراً بعمل صالح فلا يمنعه تقصيره بالعمل عن النصح بذلك العمل الصالح والدعوة إليه، وليجاهد نفسه ليعمل كما يقول.

هذا، وقد ذكر العلماء أربع صفاتٍ للداعي إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقالوا: (لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه، حكيم فيما يأمر به وحكيم فيما ينهى عنه). فإنما هي أربعة: الرفق والحلم والعلم والحكمة.

فالرفق يعصمه من الغلظة والقسوة، والحلم يعصمه من العجلة والطيش، والعلم يعصمه من الجهالة ومخالفة المراد، والحكمة تمنعه من الحمق والسفه.

وبناء على كل ما سبق: لم يصب أحمد عندما امتنع عن الدعوة إلى الله ونصح من حوله لأنه لا يحفظ القرآن ولم يُجْزَ بالحديث والفقه، إذ الدعوة إلى الله تعالى بمفهومها العام واجب كل مسلم فيما يستطيع.

ولم يحالف الصوابُ الرجالَ الأربعة الذين تخلقوا حول الشيخ وأجابوا السائل وليسوا من أهل الاختصاص ظانين بأنهم يدعون إلى الله فالدعوة إلى تعالى بمعناها الخاص واجب المتخصصين لا عامة المسلمين.

ومشكور شعور موفق بتقصيره في صلاة قيام الليل، ولكنه لم يصب عندما ترك الدعوة إليه لتقصيره فيه فالآية لا تنهى عن القول ولكن تنهى عن ترك عدم الفعل.

والناشط على مواقع التواصل يحتاج إلى علم قبل أن ينشر منشوراته حتى لا ينشر الخطأ، وعمره يحتاج إلى رفق وحلم وألا يستعجل النتائج فالدعوة إلى الله تحتاج إليهما. والله أعلم

أيها الإخوة:

خلاصة الخطبة في هذه الكلمات:

1- الدعوة إلى الله، الدلالة على الخير، النصح لعباد الله تعالى، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين.

2- الدعوة إلى الله تعالى بمعناها العام واجب كل مسلم، فكل مسلم داعية.

3- الدعوة إلى الله بمعناها الخاص بمعنى أن يتخصص قوم منا بعلوم الدعوة إلى الله وفنونها فيتخصص قوم بالفقه وقوم بالتفسير وقوم بالحديث وقوم بالعقيدة وقوم بالمناظرة... وهكذا سائر التخصصات هو فرض كفاية إذا فعله البعض سقط الإثم عن الآخرين.

4- من كان منا مقصراً بعمل صالح فلا يمنعه تقصيره عن النصح بذلك العمل الصالح والدعوة إليه، وليجاهد نفسه ليعمل كما يقول.

5- من أراد الدعوة إلى الله فليتمثل صفات الداعية: الرفق والحلم والعلم والحكمة. والله أعلم

أيها الإخوة:

التصورات توجه التصرفات، والمفاهيم تؤثر في الحركات والسكنات، ولهذا جاءت سلسلة مفاهيم تحتاج إلى تصحيح، وهذه الخطبة تحدث عن مفهوم (الدعوة إلى الله)، والمأمول ممن صح تصوره أن يصح تصرفه. والله الموفق.

والحمد لله رب العالمين